جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

التنوع الثقافي تصدعاً للهوية
قراءة في رواية سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية لـ ميسلون هادي

حميد عبيد جبار *

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2019/2/25
تاريخ التعديل : --
قبول النشر: 2019 /3/19
متوفر على النت:2019/7/4

الكلمات المفتاحية :
التنوع الثقافي
رواية سعيدة هانم
ميسلون هادي

الملخص

تتضح ظاهرة تصدع الهوية في الرواية العراقية المعاصرة ،لاسيما تلك التي كتبت بُعيد التغير الذي أصاب المنظومة الاجتماعية والسياسية في العراق ،فبإحداث هزات عنيفة ومثيرة على المستوى الفردي والجماعي،فخاض المجتمع العراقي غمار التنوع الثقافي دون قيد أو شرط تحت مظلة نفض غبار الدكتاتورية ، مما كان له الأثر في إحداث خللٍ في القيم التي كانت سائدة فكانت باكورة ثمار التنوع الثقافي على المستوى العملي تصدعاًللهوية، فبرزت انتماءات خاصة كانت مدار خلق هويات متعددة (دينية – طائفية–أثنية – وطنية) وفي الوقت نفسه كان عاملاً في خلخلة الهوية الفردية الذي نتج عنه تأجيج أزمة نفسية واضحة البصمات على جانب العلاقات الاجتماعية، التي كان لها أثراً في صوغ هوية الفرد من جهة والهوية المجتمعية من جهة أخرى ،ويعد التنوع الثقافي واحداً من العوامل المهمة في تصدع الهوية بما يحمل من سمات التفرقة التي تغذي المجتمع ، كون ثقافة أي مجتمع ما تمثل الإيديولوجية المتضمنة عاداته ومعتقداته ولغته وأفكاره ومعارفه ،وعلى هذا الأساس عالج السرد الروائي الواقع واستطاع إضاءة جوانبه المعتمة عبر رفع راية الأزمات التي يعاني منها المجتمع ، ولعل قضايا الهوية والوطن والدين تعد من ابرز ما اهتمت به الكتابة النسوية ، والكثير من الروائيات خضن في هذا المضمار فقد ركزت رواية((سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية)) للروائية ميسلون هادي على هذا الجانب ومثلته خير تمثيل.

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

الثقافة :

من المصطلحات التي دار حولها الخلاف مصطلح الثقافة ، والذي يدل بمعناه الأوسع على هذا الكل المكثف الذي ينطوي على المعرفة ، الفنون ، المعتقدات ، القوانين ، العادات ،أو كل ملكة أو عادة يكتسبها الفرد من حيث كونه عضو في المجتمع ، فهي بمثابة القاسم المشترك بين هذه العناصر المختلفة التي تقع في مربع الاختلاف أكثر من وقوعها في مربع الائتلاف[1] ، فالفرد سابقاً يكتسب ثقافته عن طريق الملاحظة والاستماع لتعليمات منطوقة ، ومع التطور التكنولوجي لم تعد هذه القناة الوحيدة للمعلومات في وقتنا الحاضر، إذ أن الفرد لديه الاستعداد الفطري للتثقيف الذاتي خاصة لقضايا الدين

*الناشر الرئيسي : E-mail : hamed@gmail.com

والمعتقدات والطقوس والشعائر الدينية والعلاقات الاجتماعية ، وهذه السلوكيات تمثل وسائط اتصال لنقل الثقافة عبر التطور العلمي لوسائل الاتصال[2].

فالثقافة تغطي وجود الإنسان ، بتأثيراتها التي لا يمكن الفرار منها، فهي تعم جميع مناحي حياة الفرد على الرغم من أن الفرد في بعض الأحيان غير مدرك اثر الثقافة عليه، علاوة على أنها تطبع نمط حياته وسلوكه وتعد عاملاً مهماً في تشكيل هويته عند خلط معتقداته وتقاليده ولغته وفكره وآدابه وتاريخه وفنونه في بوتقة الهوية ، وعليه تكون الثقافة المكون الأساس في تشكيل وتنمية هوية الفرد[3]،لقد كان مصطلح الثقافة كثيراً ما يقترن بمصطلح آخر هو مصطلح ((الهوية)) والذي أخذ يتسع حيزه يوم بعد يوم خاصة مع التيارات الحداثوية ؛ مما جعله عاملاً في توسيع استعمالاته في كافة المجالات الحياتية والأدبية[4] .

التنوع الثقافي :

التنوع الثقافي هو وصف لخليط متجانس من الثقافات المتنوعة والمتعددة والتي تستند إلى مرجعيات مختلفة وإلى مناطق عدة في العالم وتجمع بين ماهو مميز وما هو دون ذلك من ثقافة الشعوب .

ويُعد التنوع الثقافي محركاً وديناميكية لثقافة التجمعات البشرية وأساس التنمية الثقافية للمجتمع وللفرد على حد سواء، فهو يمنح الافرد متسع من الحرية للتعبير عن أفكارهم وأبداءأرائهم ونشر ثقافاتهم في محيط البيئة التي يعيشون فيها، فيكون التنوع الثقافي ذا دور مهم في تطور وتنمية هوية الفرد[5] ، والتنوع الثقافي من المعضلات التي تواجه المجتمعات المتحضرة والنامية على حد سواء فهو سلاح ذو حدين، فقد يكون ممثلاً للسلبية فيعد وسيلة للتفرقة والعنف والفتنة والفساد ، وفي هذه الحالة يضفي شرعية على بعض الثقافات الشاذة،فيكون عاملاً مهماً في تفكيك النسيج المجتمعي ؛ كون البعض يعتنق ثقافة معينة ويصر على تطبيق مفرداتها على بقية الفئات، مما يخلق نوعاً من التنافر بين أفراد المجتمع الواحد،فتظهر حالة الصراع المجتمعي في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ، مما يعني فرض وجهة نظر واحدة عبر هيمنة النوع أو الجنس أو الإثنية ، ويعد عنف رمزي صورته تواصليه من اجل إخضاع الأخر[6]، فيقفالأعم موقفاً مضاداً من هذا التنوع فيكون سبباً ؛ في تصدع الهوية الأصلية وبروز هويات متعددة بتعدد تلك الثقافات، فيتسم بسمات خاصة تقربه من صورة النزعات المجتمعية[7].

ويمكن أن يكون التنوع الثقافي تعبيراً عن الصورة الايجابية فيخلق روح الإئتلاف والتعايش على الرغم من الاختلاف في الرأي، وفي هذه الحالة يكون الآلية تساعد الفرد على التأقلم والتعايش بغض النظر عن المشاكل التي تواجهه في مسيرة حياته ، وهذا يعني أن تتفهم وتحتوي ثقافة معينة ثقافة أخرى مختلفة عنها ولا تجد ضير في التعامل معها ، وتقبل تلك الثقافة على الرغم مما تسجله من عيوب أو مؤاخذات وانحرافات[8] ، فمفردات القانون والفن والأدب والدين والتربية والتعليم والعلاقات الاجتماعية والأسرية والحياة بكل جوانبها تمثل مفردات مهمة تقع تحت مظلة التنوع الثقافي الذي يؤثر بشكل كبير وفعال في حياة الفرد من جهة والمجتمع من جهة أخرى ، فيشكل الفرد هويته المتماهية مع مرجعياته الثقافية[9].

الهوية :

من الصعوبة أيجاد تعريف محدد ودقيق لمفهوم الهويةوذلك ؛ كون العديد من المدارس الفكرية خاضت في دراسة الهوية وتداخلت المفاهيم لديها وتنوعت استعمالاتها الاجتماعية والثقافية، فالهوية موضوع في

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

حقيقة أمره فلسفي بالأصالة وقد تناوله الفلاسفة بالمعالجة والتحليل منذ أقدم العصور، ويعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية خاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وهو متغلغل في اغلب مفردات حياتنا ومعاملاتنا اليومية سواء كانت الفكرية منها أو الأدبيةإذ نجد الفلسفة استعملت لفظة الهوية بعد أن أبدعتها من الضمير(هو)[10].

فالهوية((فلسفة حقيقة الشخص أو الشيء وصفاته الجوهرية التي تميزه عن غيرة))[11]،وهي سجل السمات التي تميز الفرد عن غيره أو جماعة عن سواها ، فمنطلق الهوية من الأنا والآخر، وبهذا فوجودها وجوهرها الجانب الذاتي سواء أكان ذلك على مستوى الفردي الشخصي،أو مستوى الجماعي الاجتماعي، فلا تنحصر في زمن محدد ولا حالة اجتماعية واحدة ،فعلاقتها الأساس تقوم على أن الفردبمقدوره الاستمرار على أن يكوّن هويته بنفسه[12].

لذا لا يمكن أن نفصل الأناعن الآخر كون الهوية تعمل على تحقيق الشعور بالانجذاب والانتماء إلى الجماعة والتراث وفي هذا الجانب فالهوية ((لا تصان إلا بأن يتمسك الشعب بثقافته التي ورثها عن أسلافه في العقيدة وفي اللغة وفي الفن وفي الأدب وفي كثير من النظم الاجتماعية))[13]، وعلى هذا الأساس إزدادالسؤال عن الهوية الفردية والجماعية في الوقت الحاضر؛ بسبب التحولات الاجتماعية والثقافية التي تقع تحت مظلة العولمة.

تبدأ الهوية بالنمو عبر التاريخ الشخصي للفرد، وعبر الاعتماد على كل ما يتوافر له من إمكانيات أساسية من أجل ضبط سلوكه وإشباع حاجاته، استناداً لتحديدات اللغة والعادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية ضمن المنظومة الثقافية لذلك المجتمع، وهذه القيود تفرضها المؤسسات الاجتماعية على الفرد، أي أن الإطار العام للهوية يفرض على الفرد من قبل المجتمع، وذلك عبر المرور بطقوس تحولات الهوية أثناء مرحلة البلوغ، وهي لا تعد الكيان الذي يدفع إلى المرء مرة واحدة ،وإنما كيان يتولد وينمو مع مرور الزمن وهو متغير تارة نراه في عنفوانه، وتارة أخرى نراه في ضعفه وترهله ، بعد معاناته من الظروف الصعبة والأزمات والضغوط والاستلاب[14].

يعيشالفرد في أزمة هوية، عندما يشعر ويقتنع أن هويته التي رسمت له، لم تكن تمثله ولا هي بمقاساته، فكان لابد للفرد أن يتسلحبثقافة خاصة لغرض أنتاج هويته التي يؤمن بها، لذلك عمد إلى تنظيم سلسلة علاقات ثقافية وجسدية ونفسية مع العالم من جهة ومع ذاته من جهة أخرى، لغرض الخروج من دائرة أزمة تشكيل الهوية[15] ، وإذ ما كان صحيحاً ما قاله ((كارل ماركس)) : ((الناس هم من ينتجون تمثلاتهم وأفكارهم))[16] ، أي أن الإنسان هو الذي باستطاعته نتاج وتشكيل هويته التي تدل عليه وتميزه عن غيره ، فعلى هذا الأساس كانت الهوية من أبرز انشغالات المجتمعات البشرية.

ولهذا فالهوية متغيرة باستمرار وليس لها ثبات دائم ، فلا يتعامل مع فكرة الهوية الساكنة الراكدة ، وللهوية تأثير واضح على الخطاب و تتسم بعدم الثبات والديمومة، وفي هذه الحالة تعبر الهوية عن القدرة على التغيير عبر الاندماج بتجارب جديدة ببنية ديناميكية تطمح للتطور فتتلقى تغيرات متجددة تؤثر في تشكيل الهوية[17] ، إذ((ليس هناك عقل ثابت فكل شيء هو في تغير مستمر كذلك ليس هناك ما يسمى بالطبيعة البشرية الثابتة فهذه الطبيعة متغيرة في كل حين وحسب الظروف التي يمر بها الأفراد سواء كانوا رجالاً أو نساءً))[18].فلاوجود لفرد كله شر على الإطلاق ولالفرد كله خير على الإطلاق ما دامت هويته ناتجة من تشابك نوعي وكمي بين نزعتين هما الخير

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

والشر، وان تحديدها مرهون بتغليب أحدهما على الآخر، وهذا يعني أن الهوية ليست جوهراً سابقاً على تمثلاتها، وإنما هي معطى ملتزم بالتحول والتغير والتشكيل بحسب ما تفرضه السلوكيات من نمط معين ، وبناءً عليه فأن الجانب البيولوجي ليس ضرورياً في تحديدها[19]، في الوقت الحاضر أصبحت هوية الإنسان هي الهوية الثقافية ، إذ أن الهوية الثقافية يمكن أن يعاد تشكيلها باستمرار،لأنها هوية غير ثابتة كونها تتسم بالتحول والتغير بحسب الظروف التي تواكب صاحبها من جهة، وتفاعله مع البيئة ومحيطه من جهة أخرى ((فالهوية ممارسة وسلوك قبل أن تكون تصوراً ذهنياً ومن خلال الممارسة تتكون الهوية وتثرى))[20].

يواجه الفرد في تشكيل الهوية ثقافتين أحدهما الإقصاء، والآخر الاحتواء ، فالفرد يصار أمام هوية محتوية من قبل الآخر، تتطابق معه وتتماثل واهبة إياه كينونته عن رضا نفس، وأما أن تكون هوية مقصية خارج الآخر، وهي غير متجانسة معه وغير متفاعلة كونها تتباين معه بسبب النفور العدائي من جهة،والاختلاف العاطفي من جهة أخرى[21]، فالفرد في حرب مستمرة من أجل أثبات الذات وإبراز هويته التي تختلف عن هوية الآخر، فالهوية ذلك التصور الذي نحمله ويوضح من نحن ومن الآخرين، فهي شيء قابل للنقاش وتأتي على أثر التفاعلات الإنسانية مع المحيط والثقافة ، وهذا ما أكده (بول ريكور) بقوله: ((إنها مسار تكويني يصاغ بفن سردي وبحركة تفاعلية بين الأنا والآخر تأسيساً للوجود))[22].

تصدع الهوية

يُعد تصدع الهوية إشكالية طارئة بالنسبة للحداثة إذ تبرز واضحة على أثر تعقد المفاهيم وأساليب الحياة وتهشم العلاقات الاجتماعية على أثر التقلبات السياسية والاجتماعية والثقافية ، فعندما تشعر الهويةأنها في مأمن من الشكوك والقبول من قبل الآخر ، وعند بروز التنوع الثقافي عبر بسط سلطته على المجتمعات ومساهمة الفرد في صنع هويته ، فتعيش المجتمعات الإنسانية في توازن، في حين أن الحوادث المجلجلة والاضطرابات وعدم الاستقرار تكون عاملاً مهماً في زلزلة ذلك التوازن، فهي تحمل بمعناها الايجابي صفة الانتماء والتفاعل، في حين أن الأزمة تتشكل من التعددية والتصدع فالتشظي والخفوت ومن ثم الاندثار والضياع، إذ تشيع هذه الظروف الاستثنائية أزمة هوية، هي في الحقيقة أزمة تحول وعدم الثبات علاوة على التقبل أو عدمه، وهو يعد النتيجة الحتمية للمجتمعات التي تعاني المتغيرات الكبرى التي تعصف بالفرد أولاً والمجتمع ثانياً عبر التنوع الثقافي أو التقلب السياسي[23]، فالاضطرابات والمتغيرات التي تصيب المجتمع تكون العامل الأساس في ظهور هويات مجتمعية جديدة ، وقد عمد (كلود دوبار) إلى استعمال لفظة ((الاضطراب) بمعنى الأزمة التي تعني اضطرابات في العلاقات المستقرة ينتج عنه تصنيف الآخرين والذات بما تحمل من صورة النشاط الفردي والجماعي[24] يرى البعض أن أزمة الهوية تعني حالة عدم القدرة في تحديد الهوية، أي فشل الفرد في تحديد هويته والشعور بالاغتراب على الرغم من أنه يعيش في بيئة مجتمعية مضافاً إليه انعدام الهدف وعدم القدرة على التخطيط للمستقبل وضعف العلاقات الاجتماعية والنظر إلى القضايا المصيرية من وجهة نظر واحدة [25]، في حين يقول علماء الاجتماع أن الأزمة تنشأ عندما يفشل الفرد في العثور على نموذج يناسبه ويتطابق معه تماماً فيجبر على تبني هوية أو هويات معينه على غير مقاساته[26]، تبرز أزمة الهوية عندما تسود حالة الغموض في المجتمعات البشرية فيفقد الفرد هويته التي تميزه عن غيره من

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

البشر ، أو شعور الفرد بالانتماء إلى أكثر من هوية، أو بروز التناقض بين هوية شخص ما وبين نظرة الآخرين إلى تلك الهوية أو في حالة عدم الاعتراف بالهويات الهامشية من وجهة نظر الثقافة التي تسود ذلك المجتمع، يضاف إليه ضعف الوعي الاجتماعي من الداخل أي العلاقة القائمة بين الذات والآخر مع وجود الصعوبة للفصل بينهما مما كان مدعاة لتوليد أزمة الهوية[27]

تصدع الهوية في رواية سعيدة هانم:

مما لا شك فيه أن توظيف الفانتازيا في الأدب الواقعي إنما يتم عبر الابتعاد عن المألوف بمعنى أن كل تخيل وهمي متحرر من قيود العقل أو كل فعل ذهني خاضع لتلاعب الأفكار، أو كل رغبة طارئة لا تستند إلى سبب معقول تدخل تحت أطار هذا المفهوم [28]ولعل إحدى وسائل ذلك التوظيف استعمال تقانة القرين التي هي عبارة عن حصيلة ظهور أو تجل شبحي لحالة داخلية تقوم بإحداث انقسام داخل الذات بمعنى أن ينسلخ الفرد عن ذاته وينسب إلى شخص آخر تلك السمات التي لا يقر بوجودها عنده، ومع ذلك فأنه يعترف لا شعورياً بالخصائص المسقطة على أنها خصائصه فإنه بذلك يماثل نفسه مع الآخر، أي هي صورة هوية تشتمل على الذات وموضوعها والذات وهويتها والذات وكينونتها، الذات التي لا تتشكل إلا عبر قرينها أو صورتها الخفية[29] ، ولقد وظفتالروائية هذه التقانة في روايتها «سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية» خير توظيف على صعيد بناء الشخصيات ، بدأ من وجهة نظر سعيدة هانم وعلاقتها بنفسها والمنظور الآخر تمظهر من وجهة نظر مليكة جان، وكانت الغاية من وراء ذلك التعبير عن الكيفية التي بها تواجه الشخصية الرئيسة عجزها وتداري رغباتها، بما يعيد لها توازنها ويجعلها قادرة على المواصلة والاستمرار.

وهذا ما جعل الرواية متشظية ومنقسمة على نفسها كوصف لموضوعها ، فالمتن بنصفين، أحدهما تخيلياً وهمياً فيه مليكة أخت لسعيدة هانم ويكون نصفها الثاني واقعياً فيه سعيدة هي نفسها مليكةجان،لقد وظفت الروائية القرين حتى على مستوى أسماء الشخصيات والذي كشف تشظي الروائية منذ بداية الأحداث، فسعيدة تتبعها لفظة هانم التي تؤكد الطابع الاجتماعي الواقعي البغدادي، في حين ألحقت ما يدل على السحر والجن بالقرين فسمتها مليكة جان .

كذلك كشف استهلال الرواية هذاالتشظي والانقسام وضياع الهوية وأزمتها لجعله مدخلا موافقاً لبناء المتن سردي للرواية وصوغه على وفق تقانة الاقتران والانشطار عبر النص الشعري المترجم من قصيدة للشاعر الإسباني جوان رامون جيمنز[30]((***أنا لست أنا.. أنا هذا الواحد.. السائر بجنبي الذي لا أراه.. الذي أحيانا استطيع أن أزوره....وأحياناً انساه ؛ الواحد الذي يبقى صامتاً بينما أتكلم ..الواحد الذي يسامح بلطف عندما أكره..الواحد الذي يتمشى عندما أكون في البيت ..الواحد الذي يبقى واقفاً على قدميه حين أموت***))[31].

تنطلق الرواية من تحديد العلاقة المتبادلة بين سعيدة هانم والذات المشخصة مليكة جان لتعبر الذات الساردة عن تحقق مركزيتها عبر الخطاب المسرور الذاتي، والرواية من الفنون البارزة التي تمتلك القدرة الفائقة في تجسيد إشكالية الأنا والآخر، حيث يشغل(الأنا) مساحة واسعة للتعبير عما يعانيه الفرد ، وتصوير تلك المعاناة التي تضطرم في أعماقه من مآسي وعدم استقرار والآم وأفكار،لتشكل الانطلاقة الناجحة في نقد الذات والآخر معاً ، من أجل تحسين صورة الأنا أولاً والآخر ثانياً [32] .

فسعيدة هانم تتضح هويتها عبر الخطاب الصادر عن ذاتها إذ تمارس سلطة الحكي في كثير من الأحيان

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

بالاعتماد على البوح الداخلي المعبر عن عوالمها النفسية المشبعة بالألم والحسرة ، فالذات المشخصة ملكية جان مشاركة في الأحداث التي تجسد صراعها مع الآخر لتشكل مع سعيدة هانم مدارا السرد، تتوشج العلاقة بين مفهوم صورة الذات ومفهوم صورة الآخر فاستعمال أي طرف منهما يوجب حضور الأخر إذ لا يمكن للذات أن تكون ذاتاً إلا عبر المواجهة مع الآخر، فبواسطة هذه العلاقة المتبادلة تأخذ الذات صورتها وتتخذ كيانها المعبر به عن سمات الآخر، فالأنا يتجلى وجودها وكينونتها في مرايا غيرها ، وكذلك الآخر يتخذ الطريق ذاته لتحديد وجوده .

الرواية تعرض وجود واقع يبنى على تقابل بين الذات المشخصة مليكة جان وشخص بطلةالرواية سعيدة هانم ليمثل ذلك الواقع صراع لتشكيل هوية مدارها القبول أو الرفض للثقافة السائدة وهي في الوقت نفسه تبين بشكل واضح أزمة الشخصية المحورية سعيدة هانم التي عانت تخبط وانهيارالقيم بسبب مجموعة من العوامل كان التنوع الثقافي في مقدمتها والذي ساعد على رسم خطاطة مهمشة لذاتها،فالسلوك الذي يتخذه الفرد والهوية التي ينتمي إليها ما هي إلا نتاج ترسبات الماضي تارة ،والحاضر بما يحمل من ثقافات جديدة فالعاملان السابقان يكونا ذا أثر على مسرح الواقع المعيش مكدرة صفو حياة الفرد ومشكل هوية متأزمة للفرد، يمثل تهديد لصفاء الذات وهو في الوقت نفسه تمثيل للذات أو نقيضه[33]فالإنسان لا يدرك أهمية وقيمة هويته ألا بعدما يحس بما يهددهويتهأو يمرّبوقت مأزوم يواجه فيه الآخر، ففي هذه الحالة يرجع إلى مرجعياته المخزونة لديه ويمسك بها إذيشعر أنها تمنحه الإحساس الدائم بوجوده كذلك تضفي عليه التميز والتباين والاختلاف عن الآخر، فيكون هذا دافع مهم في تشكيل هويته الخاصة.

الهوية ما قبل و الهوية ما بعد :

الشخصية التي يبدعها الروائي حتى وأن كانت بعيدة عن المألوف وحتى لو تميزت بالغرابة ، فهو أمر مشروع ووارد ، بشرط أن تكون الشخصية تملى مساحة الإقناع لدى القارئ بوجودها وتحركها وطاقتها على تصوير ناحية من نواحي النفس البشرية[34] فكل ما يجري حول مليكة جان يتحكم فيه المجتمع الجديد فملابسها التي ترتديها عند الخروج من البيت يختارها المجتمع وليست هي من تختار ((***ميهذلة ورثة الثياب في الشارع ، ولكنها نظيفة وتشبه الدمية داخل البيت***))[35]، فالمرأة تستشعر الوأد كل يوم عبر التمييز المادي والمعنوي توأد في الشارع ، في البيت ، في المجتمع ، في العمل[36]، فمليكة جان تبعث صرخة احتجاجاً لما تعانيه سعيدة هانم من ثقافة التميز الجنسي، وطريقة مشيها في الشارع من وإلى المدرسة يكشف هوية الاضطراب الناجمة عن التوتر الداخلي المرافق لسعيدة هانم والتي تقع في الواقع ضحية قرارات مسبقة أتخذها المجتمع ضدها مستنداً إلى ثقافته الجديدة ((***لا تتألق في خطواتها مرفوعة الرأس، أو أن تمشي برشاقة ودلال بين الناس***))[37] ، لتحدد صورة الذات مع شخصية سعيدة هانم في مواجهة هذا الواقع المؤلم مما يضطرها إلى الاختفاء عن الأنظار مع صعوبة تحقيقه في البيئة التي تعيش فيها ، ولم تتوقف هوية الاضطراب بهذا الحد بل تعدى ذلك إلى ملامح الوجه ، فالوجه العبوس القطب البسر هو ما كنت تحمله عند الخروج من البيت من أجل أرضاء الثقافة المجتمعية ((ارتداء ***الوجه العابس لوجهها الجميل***))[38] فالممنوعات التي تفرض على جسد المرأة بتنوع المرجعيات دينياً ومدنياً وبتنوع الثقافات لتعيش المرأة مأزومة الهوية بشكل دائم ، بعد فرض قانون التنوع الثقافي بما يحمل من اشد

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

وجوهه قمعناً ، منقوش منذ الطفولة على جسد المرأة في حركية هذا الجسد وتعبيراته ورغباته[39].

فالهوية التي يريدها المجتمع بثقافاته المتنوعة الطارئة عليه بعد 2003 هوية الخنوع والرضوخ والإقصاء،كل هذه التعقيدات التي عاشت فيها مليكة جان جعلها تصطدم بالواقع المعيش بتقوقع المجتمع في شرنقة ثقافته ، فتلتبس مشاعرها بين ثقافة مجتمعية تخشى من ذات المرأة، ، وبين واقع وحال معيش يضطهد المرأة والحقيقة أنه يكفي نظرة واحدة للتأكد من أن الإنسانية تنقسم على فئتين تتمايزان باللباس والوجه والجسم والابتسامة والمشية والاهتمام والمشاغل تمايزاً واضحاً[40]، ولذلك ؛ اتخذت مليكة جان المعارضة سلاحاً لمواجهة تلك الثقافات التي تشعرها باستلاب هويتها الحقيقية من خلال التعامل معها ليس بوصفها إنسانة لها كيانها وقيمتها، وإنما بوصفها أداة أو عقبة أو مصدر تهديد أو عبئاً وحملاً زائداً على المجتمع الإنساني فلا يحق لها أن تكون لها هوية تميزها عن غيرها [41]، فواحد من مظاهر تلك المعارضة عدم الاندماج المجتمعي لتعيش متقوقعة في البيت الذي يعد سجنها الأبدي .

ولهذه الأسباب مجتمعة ((***تكره أن تخرج من البيت إلى الشارع***))[42] ،تعترف الذات المشخصة بمليكة جان وهي في دائرة البوح الداخلي الذي يوحي بالوحدة وعدم الوئام والانسجام مع المحيط الخارجي وبخوفها وعجزها وتراجعها تحت سياط القهر والتنوع الثقافي معبرة عن قلق وجودي يعززه تشرذمها وإحساسها بالاغتراب النفسي مهدداً إياها بضياع هويتها بتكرار المقطع السردي ((***وما دام غيري يراني هكذا فليكن ما يكون . ولكني لست كذلك ولاكما يقول عني الناس أو يظنون ..وأنا أصلاً أشك بمن أنا ، فمن أنا ؟ نفسي لا أدري من أنا ؟***))[43]، وعلى هذا الأساستشكل العلاقة ما بين قطبي الاتصال والانفصال وهنا تكمن المفارقة في خلق هوية متأزمة بين ماض يسهل الاندماج مع المجتمع وحاضر يتسم بالحزن ومستقبل ينم عن فشل ينبني على أساس ثقافة وافدة[44].

فتظل الشخصية الرئيسة متشظية وتعاني من أزمة هوية وهو في الحقيقة يمثل أزمة هوية المجتمع ، فصراعها الأول يكون في إثبات هويتها، ومما ساعد على هذا الوضع شعور الذات بالانهزام الداخلي إذ تجد نفسها في أسفل الهرم المجتمعي تحت قوة وتسلط الطبقات الأعلى منها ، فقد شكل هذا العامل عائقاً أمام تحقق الذات وخلق هويتها الخاصة بها بحيث عسر عليها الاندماج مع ذلك المجتمع وعرقل التواصل معه مما زاد من تعمق أزمة الهوية وعزز شعورها بالضياع ، فتلاعب أمواج التنوع الثقافي بالبنية الذهنية للمرأة ؛ مما جعلها ترى ذاتها منعكسة في مرايا متعددة [45]، ((***مشوشة على الدوام لأنها تريد أن تجمع بين ما تفكر به ، وبين ما يجب أن تفعله، فتجده متناقضاً إلى حد كبير***))[46].

الهوية الثقافية

يتأطر الفرد ضمن قالب معين وفق مقتضيات الثقافة السائدة في مجتمعه ، فالفرد يصبح في كثير من الأحيان طيعاً وخاضعاً لتعاليم مجتمعه والبيئة التي يعيش فيها إذ أنها تروضه على المقاس الذي تراه مناسباً لها وتؤمن به ، فيُرى الفرد مبرمجاً حسب الوضع الذي ترضاه ثقافة المجتمع ، وفي الوقت نفسه تعمل تلك الثقافة على منح الفرد أسلوباً معيناً مع محيطه مع امتلاكه سلوكيات تمكنه من العيش في وسطه الاجتماعي فالفرد أبن بيئته كما يقول أبن خلدون.

تطرح الرواية تمثيلاً مكثفاً ومركزاً للواقع الذي تعيش فيه المرأة المثقفة في مجتمع تتنوع فيه الثقافات فسعيدة هانم تعمل مدرسة للغة العربية ، وهي لا تعرف من

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

الحياة سوى مهنتها إذ أنها كرست حياتها لطالباتها في المدرسة ((***لا تحلم سوى بدفاتر الامتحانات ولا تسمع سوى ضجيج الطالبات في الليل والنهار، بل لا يتردد في رأسها غير صوت واحد هو جرس المدرسة الذي يقرع في أذنيها***))[47]، فهويتها الثقافية أيضا هي مأزومةكون؛أفق هذه الهوية أصبح ضيقاً لا يتعدى المدرسة فالثقافة ليست طريقة في الوعي ولكنها طريقة معينة ينفتح بها الوعي على كل شيء يتم تجسيده في الواقع المعيش بما يحمل من صراع دفين يبدع هوية بعد الوقوف بوجه حاكمية السلطة سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ثم إحداث التغيير الصالح وترك الخيار الطالح [48] .

فأغلب المشاهد التي صورتها الرواية في تشكيل الهوية الثقافية كانت تمثل صور منتقاة لمرجعيات اجتماعية وثقافية وسياسية وتاريخية مرت بها سعيدة هانم في مرحلة من مراحل حياتها فاسترجاعاً بسيطاً لتاريخ العراق في الفترة التي مثلتها الرواية يثبت تأزم الهوية الثقافية ؛ بسبب التنوع الثقافي ((***بغداد لم تعد تأذن لأحد بفتح عينيه على الجمال ، ولهذا حسب مليكة جان ، لن يتحقق الأمان فيها قط***))[49]، فسعيدة هانم وعبر الذات المشخصة تحمل مآسي عالمها الذي تعيش فيه، فالفرد يرى نفسه قيماً على المثل الأخلاقية في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه[50]، في حين كانت الهوية الثقافية لمليكة جان فن الرسم ، فللرسم أهمية كبيرة بالنسبة لها كونه ؛ يتيح لها الفرصة السانحة للتعبير عن نفسها من دون مواراة ، الأمر الذي ساعدها على كشف مخاوفها، ويضع يد القارئ على مواضع قلقها من جهة ، وعلى نقل مشاعرها وأفكارها ومعارفها للآخرين من جهة أخرى ، فهي تضفي على لوحاتها شيئاً من سمات شخصيتها وخصائصها فيكون عاملاً في تبلور ذات سعيدة هانم وما تشعر به لتعبر عن إسقاط لا شعوري للظروف التي تعيش فيها والعوامل الثقافية المؤثرة فيها ((***مليكة جان تظل تطقطق فرشاتها في قدح الماء وتلغمطها في قرص الألوان، أو ترويها بالأزرق وترسم نهراً، أو بالأخضر وترسم شجرة ، أو بالأبيض وترسم بطة ، أو بالأصفر وترسم باباً مفتوحاً يظهر من خلفه اثنان ... بيضاء رسمت القمصان .. سوداء رسمت الأزرار..نظرت أمي ..صرخت : ثيابك مفزعة يا بنتي ..فارغة وبلا إنسان...حقاً ما أصعب لون الإنسان . لا هو بالأصفر ولا الأحمر ولا النيلي ولا حتى الأبيض الناصع***))[51].

فمليكة جان اتخذت فن الرسم لتستنطق هويتها المأزومة بين عالمين : عالم آمن سابق وآخر جديد مرعب ، ليكن الفن عندها أداة تنفيس من الضغط النفسي الذي تعاني منه فكان واحد من العوامل المهمة فيما بعد لصنع هوية الفن المأزوم أيضاً بدلاً من الهوية الواقعية التي تعيش معاناتها سعيدة هانم ولا يفهمها إلا هي ((***كل ما وضعته في لوحاتها من عناصر البيت ومحتوياته لكي لا يفنى مثل كل شيء آيل للزوال ... يبدو أنها أرادت أن تحول صرختها تلك إلى شيء أفهمه وأراه أنا وحدي***))[52]، وهذا النص الملفوظ يعد سمة مهمة من سمات تأكيد الذات وإعلاء قيمتها وفي الوقت نفسه يمنحها الفرصة للتعبير عن ذاتها عوضاً عن الانفصال عن المجتمع ، فهي لم تعجز من الانخراط في الحياة الاجتماعية إلا أن الواقع الجديد فرض حصاراً على المجتمع بأسره بعدما تبنى هذا الواقع ثقافة مغايرة لثقافة المجتمع[53].

شعرت مليكة جان لا جدوى من حياتها في ظل الواقع المأساوي مما دفع بها في النهاية على الانغلاق على ذاتها والنأي عن مسرح الإحداث للعيش في محيط مرسمها الصغير لتعيش مع ألأمها بالرسم فقل تفاعلها في المجتمع

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

لتعبر عن ذلك بالتمرد على الظروف القاسية ولتحقق هوية الممانعة ورفض الواقع ((***لتهرع بعد ذلك إلى مكانها في المرسم هائمة مع روحها المتمددة في كل زوايا وأرجاء البيت***))[54]

حاولت سعيدة هانم أن تهيكل ذاتها وفق هويات متعددة انتقت منها ما تراه مناسباً لها وما يحقق نوع من التوافق الداخلي لتداري التنوع الثقافي في شخصها في حين أن مليكة جان لم توافقها هذا الرأي فالتغير الذي أصاب المنظومة الاجتماعية احدث تغيراً كبيراً على مستوى السلوك الفردي والجماعي فقضية الحجاب اقتنعت به عند سماع الشيخ يتحدث عن الحرام والمعاقبة بالنار ((***أنا أيضاً وضعت علامة استفهام كبيرة على ما فعلته هذا اليوم بارتداء الحجاب بدافع الخوف***))[55]، في الوقت الذي كانت فيه مليكة جان ترى في ارتداء الحجاب بدافع الخوف هو انكسار للذات، وإنما تريده أن يكون من تلقاء نفسها دون الخوف والرهبة لذلك كانت تراه شيء ليس بجميل ((***وأنا أضع الوشاح على رأسي : ما رأيك ، يا مليكة جان؟ موحلو؟ ليشمو حلو؟ لأن موحلو***))[56].

فالهوية المتأزمة لمليكة جان تنخر الذات من الداخل وتشظيها، ذلك لما يصطرع في داخلها من أفكار متناقضة ومشاعر متباينة تكرس الصورة الواقعية لما تعاني منه الذات المشخصة، لتكشف عن أعماق ألمها وطرائق نظرها، وهي بصدد وعي الحالة التي تعيش فيها، لاسيما تلك التي تكون مأزومة وتبحث عن مخرج من أزمتها الراهنة[57]، وفي الوقت نفسه فان سعيدة هانم كانت مقتنعة بما تراه مليكة جان فيما يخص الحجاب ((***فعلاً كنت أشعر بأني لست أنا ، ووجدت نفسي ، بعد أن خرجت من البيت لا أعرف أين أديروجهي من نظرات مليكة جان التي أحسستها مصوبة نحوي حتى وهي ترتدي النظارة الشمسية***))[58]، في هذا الملفوظ السردي يتضح مدى أزمة الهوية لدى سعيدة هانم فهي لا تعرف نفسها، فالوظيفة البنائية للانا تقوم على أساس الاحتفاظ بالشعور بهوية الأنا أو الهوية السيكولوجية ، وهي تمثل الحالة الداخلية للفرد والتي تعني الإدراك الواعي بالاستقلالية والفردية من أجل تحقيق هوية مستقلة لا تمثل الآخر، بل ممثلة له ومعبرة عنه فقط لا غير مما يعني الإحساس بالكمال الداخلي[59].

فسعيدة هانم عاشت أزمة هوية ثقافية عبر خلق عالمها الخاص بها والذي تنعزل فيه عن محيطها متخذة من مليكة جان صورة هذا التأزم ، وهي بمثابة القرين أو الظل الذي لا يفارقها لتكشف الرواية عن عالمين، عالم مليكة جان الخيالي الذي يتأطر بالخيال والشاعرية تلفه صورة الذات المنعزلة والمتقوقعة داخل عالمها الخاص مع ذكريات الماضي، والعالم الثاني عالم سعيدة هانم المتقولبة مع تقلبات الزمن والمتفائلة بالمستقبل((***إنها تريد الهرب من تصرفاتي المزعجة بالنسبة لها ، لأنها المعنية بالعاطفة والإبداع والخيال .. وأنا المسؤولة عن الواقع واللغة والمنطق .. أنا العالم المألوف، هي الروح الحرة .. أنا سيدة الكلمات والأرقام وهي الشوق والإحساس ..الذوق والحركة .. الأشكال والألوان ..الفن والشعر والخيال الجامح ، انا اعرف تماماً من أكون ، وهي لا تعرف من تكون***))[60]، إلا أن العالم الأول هو لذي يستفحل على سعيدة هانم ، ففي نهاية الرواية تقوم مليكة جان برمي نفسها من سطح البيت بعد الحاح الأخ سليمان بيك في قضية الزواج من شمس الدين وموقفه السلبي منها، مما دل على عدم تحمل الواقع المعيش فكشف الحالة النفسية المتأزمة التي مرت بها ذات سعيدة هانم ((***كانت تهددني دائماً بالانتحار... هذه المرة سقطت من حافة السطح إلى حافة الحديقة***

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

التي جف ماؤها ، صوت الارتطام كان هائلاً))[61]، كانت سعيدة هانم على دراية ووعي كبير بالازدواج مع القرين فهي ليست مريضة نفسياً ولا فاقدة للعقل وإنما ذاتها هي التي كانت تتألم من الواقع المعيش فكان فكرها من أبدع هذه الشخصية لعلاج المواقف التي ترفضها ((***أنا أعلم جيداً أن مليكة جان ميتة ، بل غير موجودة بالأساس ، إلا من خلال أفكاري التي أحاول أن أعمل عليها بجد بين البيت والمدرسة***))[62].

الهوية الجنسانية :

هي تلك الخصائص والسمات التي ينسبها المجتمع إلى كلا الجنسين الرجل والمرأة ، فالأفراد يولدون اناثاً أو ذكوراً ، ولكن فيما بعد يتعلمون كيف يكونون نساء أو رجالاً وما يؤكد هذا قول سيمون دي بو فوار: ((المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة))[63]، في هذا النص أشارة إلى وضع المرأة في المجتمعات الإنسانية، ومن هنا انصب الاهتمام على مفهوم الجنوسة،إذ اتضح التفريق بين النوع البيولوجي والنوع الاجتماعي فالأول يهتم بالفروق الخلقية بين الذكر والانثى، في حين ركز الثاني على الجانب الاجتماعي والثقافي؛ كونه يهتم بالمكانة الاعتبارية والمعنوية للفرد تبعاً لجنسه[64].

ساهمت المرأة في تشكيل هويتها الجنسانية عبر تجسد صوتها وهي تعبر عن هواجسها ورغباتها ، وبهذا المعنى أبدعت هويتها ، وتعدد صور حضور هذه الهوية في الرواية فهي أحياناً تظهر صاخبة معبرة عن حاجاتها ورافضة لقوى التسلط الثقافي والاجتماعي والديني التي تعمل على إقصائها وتهميشها، وتارة تظهر متماهية مع التنوع الثقافي السائد خاضعة لمفاهيم الدين والثقافة والمجتمع ، وفي حالات تظهر بصورة الممانعة والمعارضة لتتضح الهوية الجنسانية التي تحملها معبرة بها عن ذاتها[65]،لقد ارتسم مفهوم الهوية في ذهن سعيدة هانم منذ طفولتها المبكرة ، على الرغم من اشتراك معظم الأفراد في بعض السمات، إلا إن لكل فرد مجموعة من السمات الخاصة به والتي تميزه عن غيرة من البشر المحيطين به، وعليه فأن شخصية الفرد تؤشر مجموعة السمات السلوكية الثابتة والفريدة معاً للفرد[66].

ومن هنا انبثقت الهوية الفردية وهي تعني ما يتفرد به الشخص وما يتمتع به من خصائص وهي تمثل مفاهيم متضمنة معاني وعي الذات ، وإلى جانب هذا برزت الهوية الاجتماعية وهي تشكل عنصراً مهماً متضمناً الهوية الفردية والتي تعني وعي الفرد بانتمائه إلى المجموعة البشرية ، وهي تمثل نمط الحياة المشتركة بين الفرد ومجتمعة ، هي في الحقيقة علاقة تبادل من خلال التأثير والتأثر، وقد تكون علاقة إقصائية تنفي الآخر، وقد تكون علاقة تماهي ، وحسب رأي (فرويد) فالتماهي((هو عملية نفسية تتمثل فيها الذات، جانب من جوانب الآخر وتتحول جزئياً أو كلياً وفق النموذج الذي يقدمه الآخر))[67].

ففي الرواية يظهرأن اقسى ما عانته سعيدة هانم من ألم هو شعورها بانشطار الذات على نفسها أو تشظيها إلى نصفين ومن ثمتتشكيل الهوية الجنسانية والتي يظهر عليها حالة التأزم والخوف والاضطراب منذ الطفولة ((***كنت في الثالثة من العمر رأيت بطن أمي تنتفخ فنفخت أنفاسي كلها في نفاخة بيضاء، ثم عقدت رأسها بأحكام ووضعتها تحت ثوبي ..نهرتني أمي عن هذا الفعل الغريب***))[68]، يتضحمن ملفوظ النص أن هوية المرأة في بداية عمرها تماهمع شخصية أمها، فالفتيات الصغيرات يتعلمن الطبيعة المعقدة للأنوثة وهن يكبرن في الأسرة والمجتمع ، ومن ثم يتخذن ذلك السلوك ويوطن أنفسهن عليه [69]، ويبدو أن الهوية الجنسانية والتي تحمل التناقض جعل التأزم يشتد بين سعيدة هانم

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

والقرين المتمثل بمليكة جانومن ثم تبدأ عناصر وعي الذات بالنسبة لسعيدة هانم لتبدأ عمليات تشكيل الهوية الجندرية التي يكون عامل بنائها الفروق **البيولوجية** في مرحلة متقدمة من العمر، أما القيم الخاصة بالأنوثة فيكون تشكيلها من خلال التنشئة الاجتماعية، تبدأ بمرحلة الطفولة اعتماداً أولاً على الأسرة ومن ثم أدب الأطفال والمدارس ثم الجامعة والمحيط الذي تنشأ فيه المرأة((فإن بعض عناصر وعي الذات الفردي قد تكونت تاريخياً بالتدريج وان جدليتها تكون العمود الفقري لمجمل تاريخ الأنا الاجتماعي))[70].

فسعيدة هانم منذ الصغر تسرد لنا الواقع بروح معذبة لكنها تتسم بالسخرية من هذا الواقع ،فهذه السخرية تعيد لها توازنها النفسي والذهني وفي الوقت نفسه يخفف عنها عبء القلق والخوف الذي كان ينتابها منذ الصغر مع مشاهدة مسلسل الحسناء والوحش ، وكأنها تريد تأكيد هويتها النسائية ((***كنت أحرم أهلي من مشاهدة المسلسل لأني أخاف من شكل الوحش الذي كان اسمه فنسنت ، رعبي منه كان كبيراً لدرجة انني كنت أبكي بفزع عندما أراه في الليل***))[71]، هذه الهوية التي انطبعت في مخيال الثقافة الذكورية بعد تجريدها من أهليتها الإنسانية والنظر إليها كجسد مليء بالشبقية والشهوانية ، بعيداً عن النظرة الإنسانية اليه [72]، ((***من قريب لاحظُت أنها قد وضعت بعض المكياج على وجهها ، فالتفت إليها سائق الحافلة ، ثم انشغل عن الطريق بالنظر في مرآته بين حين وآخر، حتى كاد أن يصدمنا بحافلة أخرى ضربت الاشارة الحمراء قبل أن تتحول إلى اللون الأخضر.. وظل ينظر في المرآة إلى مليكة جان ، وبين الحين والآخر كان يترنم بأغنية ليلة ويوم لسعدي الحلي***))[73].

فقد مثل السائق وجهة نظر الثقافة الذكورية التي تنظر إلى المرأة فقط من جانب المتعة وسد الحاجة الجنسية ليس أكثر فعاشت سعيدة هانم في وضع لا تحسد عليه بسبب هذه الهوية التي أضحت مأزومة أيضا ((***يحدقون فيها نفراً نفراً متجاهلين رغبتها في أن تكون لا مرئية وممعنين النظر في شعرها المنفوش وثوبها البني العريض***))[74]، سعيدة هانم تشعر بالحزن والتأزم لثقافة اعتنقها المجتمع مما دفع مليكة جان إلى عدم الخروج من البيت ولطالما كانت تشعر بألم تجاه ما تمر به سعيدة هانم من مضايقات في الذهاب والرجوع من المدرسة ((***خطية أنت يا سعيدة هانم ..فعلاً خطية .. وأنت تقطعين هذا الطريق كل يوم من أجل الذهاب إلى المدرسة***))[75]، في النصوص السابقة أرادت الروائية تشريح الواقع الإنساني بوصفه قضية إنسانية تمر بها فئات المجتمع العراقي وأثر الثقافات الجديدة على الفرد أولاً والمجتمع ثانياً فالهوية الجنسانية لا تنحصر بقضية سعيدة هانم ، بل تشمل الإنسان بما هو إنسان حيث أنه أصبح ثياباً ليس إلا، خالي من المبادئ التي يؤمن بها فقط كلمات يرددها مليكة جان حاولت أن ترسم هذه الحالة الإنسانية ((***ولكنها أصبحت ترسم الأكمام فارغة وبلا أيد أو ترسم الثياب خالية من الإنسان***))[76]، فالتأزم لم ينحصر بسعيدة هانم ولا مليكة جان وإنما هو تأزم على مستوى الإنسان العراقي عامة ، وكأن الروائية تستشعر الألم الذي تعاني منه سعيدة هانم وتسحبه إلى المجتمع كافة فالألم والتميز على أساس الجنس قضية إنسانية تتعدى محنة سعيدة هانم كون ؛ الهوية تتميز بطابعها الإنساني العام والشامل إذ تتألف من عناصر ومكونات الوحدة والاختلاف لتميز[77].

ومع كل هذه الملابسات والتأزم الذي تعيش فيه سعيدة هانم إلا أن الهوية الوطنية والتي تعبر عن إعادة

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

إنتاج وإعادة تفسير مستمر للرموز والقيم الراقية والذكريات والأساطير والتراث بما يحمل من معنى الخلود الذي يميز ويعرف به الإفراد[78]، هذه الهوية ظلت ثابتة ولم تتزحزح عند القرين فقد رفضت جميع العرسان ، ليس بمعنى رفضاً لفكرة الزواج وإنما الرفض جاء على أساس أن الزواج يجعلها تعيش بعيداً عن الوطن ، فالوطن عندها كان مقدماً على أي اعتبار آخر فكان المقطع السردي الذي كررت أكثر من مرة في الرواية معبراً عن هذا الموقف الإنساني ((***إنه يريدني أنأتحدث إلى شمس الدين يوم غد .. ويوم غد لم يأت بعد منذ السنة الماضية***))[79]، فالزواج هنا وبالطريقة التي يريدها الأخ تعني إلغاء الذات والسير معصومة العينين وراء الآخر وهذا يتناقض مع إيديولوجية سعيدة هانم وبهذا المقطع السردي تنهي ميسلون هادي النص الروائي .

الخاتمة

يمثل سؤال الهوية هاجساً رئيساً في الرواية العراقية ؛ كونه ينبثق من مسارات التنوع الثقافي فأصبح مفتاحاً لكل الإحداث، طرحتالرواية المدروسة الجانب المتأزم للذات في خلق الهوية التي تكون مبنية على إسقاطات ثقافية ومجتمعة تلاحق الذات، حتى تصل بها إلى منعطف الضياع على الرغم من أن الذات المشخصة مليكة جان في لحظة من لحظات الزمن حاولت التصالح مع نفسها والتخلص من هذا العذاب الداخلي ، فقد ألزم التنوع الثقافي الشخصية تبني أنساقاً ثقافيةً منافية للأنماط الثقافية الأصلية ، مما كان عاملاً مساعداً على تصدع الهوية وأظهر هوية جديدة لم تكن سعيدة هانم راغبة بظهورها واعتناقها ، إلا أن الواقع هو الذي فرضها ، لقد نجحت الروائية ميسلون هادي في أبداع صورة سردية يتطلب قراءتها تجاوز القراءة البسيطة ، بل قراءة تعتمد على الصورة الخفية التي رسمتها الرواية بعوالمها المتخيلة والمتعددة وبمرجعياتها الثقافية القارة والوافدة إذ كانت الرواية تسعى إلىأقامة بديل للحياة للتوصل إلى ما تعذر تحقيقه في الواقع المعيش .

الهوامش

(1) ينظر – في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات ، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة ، عبد الرزاق الدواي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت – لبنان ، ط1،2013 : 13

(2) ينظر- الانتخاب الثقافي ، أجنر فوج ، تر: شوقي جلال ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة – مصر ، ط1، 2005: 78

(3) ينظر – النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية –أرثرأيزابرجر ، تر: وفاء إبراهيم ، رمضان بسطاويسى، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة – مصر ، ط1،2003: 195/193

(4) ينظر- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، دنيس كوش ،تر: منير السعداني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت – لبنان ، ط1، 2007: 147

(5) ينظر – النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية –أرثرأيزابرجر ، تر: وفاء إبراهيم ، رمضان بسطاويسى: 195

(6) ينظر- التنوع الثقافي والعولمة ، أرمان ماتلار، تعريب د.أ . خليل أحمد خليل ، دار الفارابي ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ، بيروت – لبنان ، ط1، 2008: 104

(7) ينظر- التنوع الثقافي والعولمة : 14

(8) ينظر – في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات ، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة ، عبد الرزاق الدواي: 103

(9) ينظر- التنوع الثقافي والعولمة ، أرمان ماتلار، تعريب د.أ . خليل أحمد خليل :90

(10) ينظر- الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – الغرب العربي 2008 ، : 15

(11) النسوية في الثقافة والإبداع – د. حسين المناصرة ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن، ط1، 2008: 153.

(12) ينظر- ملامح أصلاحية جديدة – معجم المصطلحات الثقافة والمجتمع ، طوني بيت ، لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس ، ترجمة : سعد الغانمي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ط1، 2010: 700 .

(13) اشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية) د. ماجدة حمود ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، عالم المعرفة / العدد 398، مارس 2013 : 14/13

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

(14)ينظر- كتاب الهوية ، اليكس ميكشيللي، ترجمة : د. علي وطفة ، دار النشر الفرنسية دمشق – سوريا ، ط1 ،1993 : 7

(15)ينظر- الرواية النسائية العربية تجليات الجسد والأنوثة ، عبد الله إبراهيم ، مقال منشور على الانترنيت

(16)تمثلات الاخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ط1 ،2004 : 2

(17) ينظر – سرد الهوية في رواية "مملكة الفراشة " ل(واسيني الأعرج) سمية رمضاني ، رسالة ماجستير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجمهورية الجزئرية ، جامعة محمد خضير بسكرة ، 2016: 17

(18) المرأة والغربة د. نوال السعداوي ، دار المعارف ، القاهرة كتاب الاكتروني:10

(19) ينظر – ميشيل فوكو ، الإدارة والمعرفة ، مركز الانماء القومي ، ترجمة :مطاع صفدي ، جورج أبي صالح ، بيروت – لبنان 1990 (د.ط) : 14

(20) الثقافة العربية في عصر العولمة ، د. تركي الحمد ، دار الساقي ، مصر، ط1، 1999 : 19

(21) ينظر – وعي الذات النسائية احتواء وإقصاء في رواية صخب لقاسم توفيق ، د. نادية هناوي سعدون ، صحيفة (ذوات) ثقافية فكرية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، 24 /10 /2016

(22)الهوية والسرد ، بول ريكور ، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير ، ط1، 2009: 6

(23) ينظر – ازمة الهوية ، سعود عبد العزيز كايلي ، جريدة الوطن / العدد ، 3271في 2009 .

(24) ينظر – ازمة الهويات ، كلود دوبار ، تر: رنده بعث ، المكتبة الشرقية ، بيروت – لبنان ، ط1، 2008: 29

(25) ينظر – أزمة الهوية والأكتئاب النفسي لدى الشباب الجامعي ، ابو بكر مرسي ، مجلة دراسات نفسية / المجلد (7) العدد/3 1997: 23

(26) ينظر –المصدر السابق : 24/23

(27) ينظر – المواطنة والهوية الوطنية ، نخبة من الباحثين ، دار العارف ، بيروت – لبنان ، ط1، 2008: 67

(28) ينظر- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان ، ط2، 1974: 166

(29) ينظر- عن القرين أو ذلك الحكي المزدوج ، شاكر عبد الحميد ، مجلة نزوى ، العدد /66، في 1مايو 2011، :1

(30) خوان رامون خيمينيثمانتيكون(1881-1958) شاعر إسباني، غزير الإنتاج، حصل على جائزة نوبل في الأدب سنة 1956. من أشهر أعماله بلاتيرو وأنا.(الموسوعة الحرة)

(31) رواسة سعيدة هانم : 5

(32) ينظر- إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية ، د. ماجدة حمود ،عالم المعرفة العدد 398/ 2013: 14.

(33) ينظر- دليل الناقد الادبي ، د. ميجان الرويلي و د،. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ،ط3، 2002 : 22.

(34) ينظر – الفن والحلم والفعل ، جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط2، 1988: 348

(35) رواية سعيدة هانم ويوم من لسنة الماضية ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط1، 2015 : 29

(36) ينظر – السرد النسوي العربي ، من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية ، د.عبد الرحيم وهابي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، الاردن – عمان ، ط1، 2016: 102

(37) الرواية : 9

(38) الرواية : 9

(39) ينظر – التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط10، 2007: 214

(40) يظر– الجنس الاخر ، سيمون دي بو فوار: 5

(41) ينظر- الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط2، 2007: 38

(42) الرواية : 9

(43)الرواية : **67**

(44) ينظر – الرواية النسوية العربية مساءلة الأنساق وتقويض المركزية ، د. عصام واصل ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2018: 170

(45) ينظر- السرد النسوي الثقافة الأبوية ، الهوية الأنثوية ، والجسد ، د. عبد الله إبراهيم : 66

(46) الرواية : 51

(47) الرواية : 10

(48) ينظر – صور المثقف ، ادوارد سعيد ، تر: غسان غصن ، دار النهار للنشر ، بيروت – لبنان ، 1996: 106/105

(49) الرواية : 20

(50) ينظر – موسوعة السرد العربي ، د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، طبعة جديدة موسعة ، 2008: 398

(51) الرواية : 33

(52) الرواية : 175

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

([53]) ينظر – الرواية العربية ما بعد الحداثة ، نقويض المركز – الجسد – تحطيم السرديات الكبرى ، د. ماجدة هاتو هاشم ، وزارة الثقافة العراقية ، ط1، 2013 : 243/242

([54]) الرواية : 10

([55]) الرواية : 44

([56]) الرواية : 28

([57]) ينظر – معجم السرديات ، مجموعة من المؤلفين ، أشراف محمد القاضي ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط1، 2010: 423

([58]) الرواية : 42

([59]) ينظر – نظريات الشخصية ، محمد سيد عبد الرحمن ، دار قبا ، القاهرة – مصر ، (د.ط) 1998: 280

([60]) الرواية : 73

([61]) الرواية : 178

([62]) الرواية : 176

([63]) مدخل إلى نظرية النقد النسوي و ما بعد النسوية ، د.حفناوي بعلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ط1،2009: 99

([64]) ينظر- السرد النسوي ، الثقافة الابوية ، الهوية الأنثوية ، والجسد ، د. عبد الله إبراهيم : 11

([65]) ينظر – خطاب الجنس ، مقاربات في الادب العربي القديم ، د. هيثم سرحان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 2010: 187

([66]) ينظر – نظرية الانعكاس ، النفس في ضوء العلاقة بين الانفعالات والمنبهات ، عبد لكريم حسن احمد ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد – العراق ، ط1 ، 2010 : 105

([67]) النظرية الأدبية ، جوناثان كالر، ترجمة : رشا عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق – سوريا ، 2004 ، : 137، :138.

([68])رواية سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية : 61

([69]) ينظر – السرد النسوي الثقافة الابوية ، الهوية الانثوية ، والجسد ، د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ، ط1، 2011: 28

([70])عن الذات ، ايغوركون ، ترجمة غسان نصر ، دار معد للنشر والتوزيع ، سوريا – دمشق ، 1993 (د.ط) :43

([71]) الرواية : 12

([72]) ينظر – تاريخ الجنسانية ،ميشيل فوكو ، تر: محمد هاشم ، افريقيا الشرق ، (د.ط) 2004: 87

([73]) الرواية : 18-17

([74]) الرواية : 20

([75]) الرواية : 20

([76]) الرواية : 36

([77]) ينظر – السرد والانساق الثقافية في الكتابة الروائية ، د. عبد الرحمن النوايتي ، دار كنوز المعرفة ، الاردن – عمان ، ط1، 2016: 103

([78]) ينظر – الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي، دراسة في تحولات الأنساق الثقافية ، حبيب النورس ، دار الشؤون الثقتفية العامة بغداد – العراق ، ط1، 2014: 69

([79]) الرواية : 18

المصادر والمراجع

-أزمة الهوية والاكتئاب النفسي لدى الشباب الجامعي ، أبو بكر مرسي ، مجلة دراسات نفسية / المجلد (7) العدد(3) 1997.

–أزمة الهوية ، سعود عبد العزيز كايلي ، جريدة الوطن / العدد 3271، في 2009 .

- الانتخاب الثقافي ، اجنر فوج ، تر: شوقي جلال ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة – مصر، ط1، 2005.

- أزمة الهويات ، كلود دوبار ، تر: رنده بعث ، المكتبة الشرقية ، بيروت – لبنان ، ط1، 2008.

– إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية ، د. ماجدة حمود ، عالم المعرفة العدد 398/ 2013 .

-الإدارة والمعرفة ، ميشيل فوكو ، تر:مطاع صفدي ، جورج أبي صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت – لبنان، (د.ط) 1990.

الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ، ط2، 2007.

-تاريخ الجنسانية ،ميشيل فوكو ، تر: محمد هاشم ، أفريقيا الشرق ، (د.ط) 2004

التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط10، 2007.

- تمثلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ط1، 2004 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

التنوع الثقافي والعولمة ، أرمان ماتلار، تعريب د.أ . خليل أحمد خليل ، دار الفارابي ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ، بيروت – لبنان ، ط1، 2008.

-الثقافة العربية في عصر العولمة ، د. تركي الحمد ، دار الساقي ، مصر، ط1، 1999.

- خطاب الجنس ، مقاربات في الأدب العربي القديم ، د. هيثم سرحان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 2010.

دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي و د،. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ،ط3، 2002.

- رواية سعيدة هانم ويوم من لسنة الماضية ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط1، 2015 .

الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي، دراسة في تحولات الأنساق الثقافية ، حبيب النورس، دار الشؤون الثقتفية العامة بغداد – العراق ، ط1، 2014.

– الرواية العربية ما بعد الحداثة ، تقويض المركز – الجسد – تحطيم السرديات الكبرى ، د. ماجدة هاتو هاشم ، وزارة الثقافة العراقية ، ط1، 2013.

-الرواية النسائية العربية تجليات الجسد والأنوثة ، عبد الله إبراهيم ، مقال منشور على الانترنيت .

– الرواية النسوية العربية مساءلة الأنساق وتقويض المركزية ، د. عصام واصل ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2018.

-سرد الهوية في رواية "مملكة الفراشة " ل(واسيني الأعرج) سمية رمضاني ، رسالة ماجستير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجمهورية الجزئرية ، جامعة محمد خضير بسكرة ، 2016.

– السرد النسوي الثقافة الابوية ، الهوية الانثوية ، والجسد ، د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط1، 2011.

-السرد النسوي العربي من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية ، د. عبد الرحيم وهابي ، دار كنوز المعرفة ، الاردن – عمان ، ط1، 2016.

- السرد والانساق الثقافية في الكتابة الروائية ، د. عبد الرحمن النوايتي ، دار كنوز المعرفة، الاردن – عمان ، ط1 ، 2016.

-صور المثقف ، ادوارد سعيد ، تر: غسان غصن ، دار النهار للنشر ، بيروت – لبنان ، 1996.

- عن الذات ، ايغوركون ، ترجمة غسان نصر ، دار معد للنشر والتوزيع ، سوريا – دمشق ، (د.ط) 1993.

– عن القرين أو ذلك الحكي المزدوج ، شاكر عبد الحميد ، مجلة نزوى ، العدد /66، في 1ايار 2011.

-الفن والحلم والفعل ، جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان، ط2، 1988.

-في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات ، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة ، عبد الرزاق الدواي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت – لبنان ، ط1، 2013.

- كتاب الهوية ، اليكس ميكشيللي، ترجمة : د. علي وطفة ، دار النشر الفرنسية دمشق – سوريا، ط1 ،1993.

-المرأة والغربة د. نوال السعداوي ، دار المعارف ، القاهرة كتاب الاكتروني.

- معجم السرديات ، مجموعة من المؤلفين ، أشراف محمد القاضي ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط1، 2010.

- مدخل إلى نظرية النقد النسوي و ما بعد النسوية ، د.حفناوي بعلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ط1،2009.

- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان ، ط2، 1974.

- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، دنيس كوش ،تر: منير السعداني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت – لبنان ، ط1، 2007.

DOI:10.18018/URUK/019-12/1281-1296

Abstract :
The phenomenon of identity fragmentation in the contemporary Iraqi novel especially written after the change that has affected the social and political system in Iraq, with violent and dramatic events on both individual and collective levels, Iraqi society was subjected to cultural diversity unconditionally under the umbrella of the dust of dictatorship, The impact of the most recent imbalance in the values that prevailed was the first fruit of cultural diversity on the practical level in order to undermine identity. Particular affiliations emerged that were the creation of multiple identities (religious, sectarian, ethnical, national), and at the same time,The cultural diversity is one of the important factors in the fragmentation, of identity, which carries the characteristics of differentiation that feeds the society as the culture of any society represents the ideology contained His habits, beliefs, language, ideas and knowledge have dealt with the narration of reality and managed to illuminate its dark aspects by raising the banner of the crises afflicting society. Perhaps issues such as identity, homeland and religion are one of the most important feminists. Many of the narratives in this regard,Hanim and tomorrow of last year for the novelist MaysalounHadi.

- ملامح أصلاحية جديدة – معجم المصطلحات الثقافة والمجتمع ، طوني بيت ، لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس ، تر: سعد الغانمي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ط1، 2010.
- موسوعة السرد العربي ، د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، طبعة جديدة موسعة ، 2008.
- المواطنة والهوية الوطنية ، نخبة من الباحثين ، دار العارف ، بيروت – لبنان ، ط1، 2008.
- النسوية في الثقافة والإبداع – د. حسين المناصرة ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن، ط1، 2008.
– نظريات الشخصية ، محمد سيد عبد الرحمن ، دار قبا ، القاهرة – مصر ، (د.ط) 1998.
- النظرية الأدبية ، جوناثان كالر، ترجمة : رشا عبد القادر ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق – سوريا ، 2004 .
-نظرية الانعكاس ، النفس في ضوء العلاقة بين الانفعالات والمنبهات ، عبد لكريم حسن احمد ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد – العراق ، ط1 ، 2010.
– النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية –أرثرأيزابرجر ، تر: وفاء إبراهيم ، رمضان بسطاويسى ،المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة – مصر ،ط1، 2003.
- الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – الغرب العربي 2008.
-الهوية والسرد ، بول ريكور ، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير ، ط1، 2009.
– وعي الذات النسائية احتواء وإقصاء في رواية صخب لقاسم توفيق ، د. نادية هناوي سعدون ، صحيفة (ذوات) ثقافية فكرية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 24 /10/ 2016.